

## الداء والدواء

خلق الله تعالى الانسان في احسن تقويم ، وكرمه بضروب من التكريم ، خلقه من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، خلقه جاهلاً لا يعلم شيئاً ثم منحه هدايات الحواس والعقل والنبوة ، خلقه فقيراً محتاجاً الى كل شيء ، وسخر له بفضله كل شيء ، فالأكوان تعمل به وهو يعمل في الأكوان ، ويظهر ما انطوت عليه من الابداع والافتان ، مستعيناً بتلك الهدايات الموهوبة ، على اعماله المكسوبة ، حتى يصل كل من الانسان والاكوان الى ما أعد له ، ويبلغ الكتاب فيما اجله ، واغنى بالكتاب كتاب الغيب المكنون ، « قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيان يبعثون ، بل اذارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون ، »

جلت حكمة الله جعل حياة الانسان الفردية ، مثلاً ونموذجاً لحياته القومية ، يرتقى الفرد منه بالتدرج ويتربى متأثراً بحالة الأكوان ، وما تعرضه عليه شؤون أخيه الانسان ، فنه ما يخو ويرتقى باطراد . ومنه ما يعرض له المرض والفساد ، فتوقف سيره ، قبل ان يتم دَوْره ، فاما شقاء وارتقاء ، وإما موتاً وفناء ، وكذلك الأمم في اطوارها ، والشعوب في ادوارها ، وهذه قصصها واخبارها ، ماسعدوا الأيما كانوا يعملون ، وما حل بهم الشقاء الأيما كانوا يكسبون ، « وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون استعان أناس بالحواس على الحسنات ، واستعان بها آخرون على اجتراح السيئات ، ووصل قوم بالعقل الى احسن الاعمال ، واستعمله آخرون

في سبيّ القتال ، واهتدى بالدين اهم الى الصراط المستقيم ، ووقع به  
 آخرون في الصذاب الاليم ، « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم نبياً  
 بينهم . وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءهم اليينات . ولقد زرانا  
 لهم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون  
 بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون . »  
 غرأمة ممن كان قبلنا دينهم ، فحسبوا ان انسابهم اليه هو كافيتهم وضمينهم ،  
 وناصرهم ومعينهم ، فقصروا في الاعمال ، واستبدلوا النقص بالكمال ،  
 فحل بهم الجزى والتكال ، وما اغنى عنهم الانتساب الى الانبياء ، والاعتماد  
 على الامنياء ، والاستمداد من الاولياء ، ولا افادهم قولهم نحن شعب الله ،  
 الذي فضله على العالمين واصطفاه ، وحميت كتابه التوراه ، « ألم تر الى الذين  
 اوتوا نصيباً من الكتاب يدعوون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق  
 منهم وهم معرضون . ذلك بانهم قالوا لن نمسنا النار الا ايما معدودات  
 وعصرهم في دينهم ما كانوا يفترون »

الغرور في الدين ، هو الجرثومة التي تولدت منها جميع امراض  
 المسلمين ، كما حل بمن كان قبلهم ، وحذروا ان يكونوا مثلهم ، فقد جاء  
 في الحديث المتفق على صحته « لَتَبْعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلِكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا  
 بِذِرَاعٍ » والمسلمون يعترفون بهذا اجمالاً ولكنهم ينكرونه عند التفصيل .  
 فاذا عدت لهم البدع والتقاليد التي فتنوا بها ، وحرفوا معاني كتاب الله تعالى  
 واولوه برأيهم لترويحها ، يلوون أسنتهم إنكاراً ، ويُغضون رؤسهم اعراضاً  
 وازوراراً ، واذا وصفت بهذا الغرور بعض رجال الدين ، من شيوخهم  
 وآبائهم الميتين ، « يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت

وهم ينظرون ، «

هذا الغرور في الدين ، الذي اصبنا به من بعد الخلقاء الراشدين ، هو تقيض الغرور الذي رُعي به الذين سبقونا بالايمان ، والذي قال فيه القرآن ، « إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض عرَّ هؤلاء دينهم » فان ذلك الغرور هو تصدي ثلاثمائة ونيف من المؤمنين ، لزهاء الف من المشركين ، من ورائهم الوف وزحوف من الفرسان ، وليس وراء أولئك المؤمنين الا النساء والضعفاء والصبيان ، وهذا الغرور هو خذلان ثلاثمائة مليون من المسلمين ووقوعهم بين انياب الحوادث ، ومخالب الكوارث ، لا يحمون حقيقتهم ، ولا يدافعون عن حوزتهم ، ولكنهم يستنجدون بالقبور ولا ينجذون ، ويستنصرون بأرواح الموتى ولا ينصرون ، « او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ، » تولدت جرائم هذا الغرور بالدين في مصر الاول عند ما فتح المسلمون البلاد ، وددوا العباد ، وجاسوا على كرسى السيادة ، وضموا عليهم قطري السعادة ، فحسبوا انهم غمروا بهذا الانعام ، لجرد انتسابهم للاسلام ، ثم دهم القياس الفاسد على ان هذا اللقب (مسلمون) يعطيهم سعادة الآخرة كما اعطاهم سعادة الدنيا وكان لهم من الاحاديث الموضوعية وسوء فهم الصحيحة ما يؤيد القياس ، ويمد الوهم والاتباس ، فقصروا فيما امرهم الدين من الاصلاح للدنيا ، كما قصروا في عمل الصلاح للآخرة ، فاخذهم العذاب من حيث لا يشعرون ، « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصاحون ، » (١)

وباليتم إذا عذبوا بسلب سعادة الدنيا رجعوا الى قياهم وخافوا ان  
يحرما سعادة الآخرة ايضاً اذاهم استرسلوا في هذا الفرور ، ولم يخرجوا  
من هذا الديجور ، ثم رجعوا الى انفسهم ، وبخثوا عن اسباب سعادة  
سلفهم ، وتبينوا انها الاعمال ، لا الأمانى والآمال ، ثم استنوا بسنتهم ،  
واستقاموا على طريقتهم ، ولم يتكلموا على شفاعتهم ، وبجملوها مناط  
سعادتهم ، واعتبروا بقول خليل الرحمن ، عليه الصلاة والسلام إذ قال  
لايه « لأستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء » وبما كان من  
حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه ابي طالب . ومحدث  
الصحيحين : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه « وأنذِرْ  
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » فقال « يامشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغني  
عنكم من الله شيئاً . يا بني عبد مناف لا اغني عنكم من الله شيئاً . يا عباس  
عم رسول الله لا اغني عنك من الله شيئاً . يا فاطمة بنت محمد سليني من  
مالي ماشئت لا اغني عنك من الله شيئاً » نعم وان اعتقاد الخلف انهم  
يسعدون في الدنيا بامداد سلفهم تكذيب للحس والعيان ، واعتقاد انهم  
بهم ينجون في الآخرة اعراض عن السنة والقرآن ، فالاحتجاج بمد هذا  
بقول فلان وورد فلان جنون ، « ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان  
نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون »  
ما وقف المسلمون بفرورهم في دينهم عند حد بل عم عندهم كل شيء  
حتى حكموه بالعلم الذي يرشده اليه ، فعملوه صادقا عنه ، وبالذنيا التي يأمر بعمرانها ،  
فحبوه مؤذنا بخرابها ، وبالعقل الذي بني عليه ، فعملوه عدوا له ، ولما نزلت بهم

الام بالشرك اذا كانوا مصلحين في الاعمال وهذا مشاهد وناهيك بالمسلمين واليابان

عقوبة غيره وهم يئسوا من كل شيء أن ينالوه بأنفسهم وسجلوا على أنفسهم هذا اليأس وختموه بختم الدين وطلبوه بطابعه حيث زعموا أنه من اشراط الساعة وإن الضعف إذا وقع بالمسلمين لا يرتفع إلا ما يكون من النهضة على يد المهدي المنتظر القصيرة المدة وإنما تكون بالحوارق والكرامات لا بالاستعداد والمصيبة القومية ثم هي كإمضاة الخمود للذبال لا تلبث أن تزول سريعاً وتزول الدنيا في أثرها بمد قليل . وقد مر في المنار تحقيق الحق في هذه التقاليد وبيان ضررها ، وإن الساعة مغيب عنا صرها ، « يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون »

فعلنا مما تقدم أن امراض المسلمين الاجتماعية التي جعلتهم وراء الأمم كلها حتى التي كانوا يسودونها ترجع الى داء واحد وهو **النزور** في دينهم وفهمه على غير وجهه **﴿** وإن شفاء هذا الداء ليس بمحال ولا متعذر وإنما المتعذر إصلاحهم مع بقائه وإن الدواء الذي يذهب به هو السير بالثرية والتعليم على سنن الكون واصول الاجتماع التي اشرنا اليها في صدر المقالة واقناعهم بان ارتقاء المسلمين بدينهم في القرون الاولى لم يكن اسرختي في الدين ، ولا لحب الله تعالى لذوات الذين تسبوا بالمسلمين ، لأن الله منزه عن عشق الذوات والاعيان ، وأفعاله لا تمل بالاغراض كفعال الانسان ، وإنما ارتقوا به لأنه ارشدهم الى سنن الارتقاء ، وهداهم الى الصفات والافعال التي بها السوء والاعتلاء ، فهو كما تقدم هداية أخذت على وجهها وحقيقتها ، فأدت الى غايتها وانتجت نتيجتها ، فلما اختلفت الكيفية ، انعكست القضية ، كما يهتدى بالحواس والعقل اقوام ويضل آخرون ، « وخلق الله السموات والارض بالحق وتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون . أفرايت

من اتخذ الله هواء وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ، «

اول اركان الاصلاح الاسلامي هو التوحيد الخالص الذي يصقل العقول من صدا الحرافات والاهام ويفك الارادة من أسر الدجالين ، ويعصم النفوس من حيل المحتالين ، ثم الاذعان بان سنن الله تعالى لا تبدل ولا تتحول فمن سار عليها وصل ومن تنكبها هلك « وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » حكم عام للآخرة والاولى . ثم الاعتقاد بان كل عمل ينافي مصلحة الامة او يحول دون منفعتها موجب لسخط الله تعالى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم تصدي طائفة للاحتساب قولاً وعملاً والدعوة الى ما به حياة الامة من علم وعمل ومباراتها للامم العزيرة الى غير ذلك مما فصلنا القول فيه من قبل وسنعيد البحث فيه ان شاء الله تعالى . « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ، ولنا الثقة بان الكون وما فيه من الآيات ، وما اكتشفه الناس من اسراره وما يكتشفونه فيما هو آت ، كل ذلك خدمة لظهار دين القطرة على كل دين ، « ولتعلمن نبأه بعد حين » ، وان دعوة الحق ستكون هي الفضلى ، وطريقة الاصلاح هي الطريقة المثلى ، ولكن لا يمكن تعيين الزمن بالتحديد ، « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ، . لمثل هذا فيعمل العاملون ، لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون »